الحرب الروسية الأوكرانية وعودة عالم متعدد الأقطاب

د. سالم علي أحمد دخيل

قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة طربلس

Salimdakeel7@gmail.com

ملخص:

تبدأ جذور الأزمة الروسية الأوكرانية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي السابق في عام 1991م حيث صوت تقريبا حوالي 90% من سكان أوكرانيا على الاستقلال الامر الذي نتج عنه ظهور تكتلات في أوكرانيا ذات توجه يؤمن بالاتجاه نحو الغرب والانضمام إلى حلف شمال الاطلسي الذي تعرف اختصاراً بالناتو وهنا قامت روسيا بتوقيع معاهدة في بودبست في المجر بموجبها تتعهد روسيا باحترام حدود أوكرانيا واستقلالها مقابل تسليم أوكرانيا الأسلحة النووية التي ورثتها من الاتحاد السوفيتي السابق، وبعد ذلك شهدت أوكرانيا كثيراً من التقلبات السياسية والانقلابات، الأمر الذي جعل من روسيا تقوم باتخاذ بعض التدابير اللازمة لحماية أراضيها وأمنها القومي، وكان أخرها قيامها في الرابع العشرين من فبراير 2022م بغزو أوكرانيا تحت مسمى العملية العسكرية الخاصة ومن هنا تشكلت الأحلاف الموالية لروسيا والمعارضة لها، وانقسم العالم إلى معسكرين يضم أبرزهما أمريكا والاتحاد الأوروبي والصين وروسيا مما يعد بإعادة قطبية جديدة في العالم.

الكلمات المفتاحية: الأزمة، القطبية، الحلف الأطلسي، روسيا، أوكرانيا.

***Abstract*:**

The Russian-Ukrainian crisis has gone beyond since the collapse of former Soviet Union in 1991, when approximately 90% of the country's population voted for independence, which led to the emergence of groups in Ukraine to turn to the long Western trend in NATO. Russia signed a treaty and Hands over nuclear weapons in Budapest in Hungary under which Russia pledges to protect Ukraine's borders from the nuclear weapons it inherited from the former Soviet Union. After that Ukraine witnessed many economic divisions and political turmoils and coups, which it requested Russia to take necersary precautions to protect its territory and national security. On the twenty-fourth of February 2022, Russia launched a military invasion of Ukraine under a special military operation, and from here the red alliances of Russia and those opposing it spread, and the world was divided into two camps which includes us and guropean union on one side and China and Russia on the ofter side.

***Keywords*:** *The Crisis, Polar, NATO, Russia, Ukraine.*

مقدمة:

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي 1991م ونهاية الحرب الباردة انتهت القطبية في العالم حيث أصبحت الولايات المتحدة شرطي العالم الأول، هذا الانهيار الذي حصلت فيه أوكرانيا على الاستقلال في العام نفسه، وتم توقيع مذكرة بودابست حيث تعهدت روسيا بموجبها باحترام حدود أوكرانيا مقابل أن تتخلى أوكرانيا على أسلحتها النووية الموروثة عن الاتحاد السوفيتي سابقاً لصالح روسيا الاتحادية.

وبمرور السنوات فرضت الجغرافيا السياسية نفسها على شرق أوروبا وانضمت أغلب دول الشرق الأوروبي لحلف الناتو حيث انضمت فيما بين عامي 2004 و2009م ستة دول من شرق أوروبا بعضها من الدول السوفيتية السابقة، وبذلك أصبح الجدار ما بين الاتحاد الروسي والناتو يتكون من دولتين أوكرانيا وبيلاروسيا، وبالتالي وخلال ذلك الخضم السياسي المشحون بين الاتحاد الروسي والغرب الذي حاول تقويض كل الجهود الرامية لقيام دولة قوية للاتحاد الروسي، قامت روسيا بعملية جريئة واستخباراتية كبيرة أذهلت كل المخابرات الأجنبية وقواها العسكرية لضم جزيرة القرم في عام 2014م، وهنا بدأ الغرب في تسليح دولة أوكرانيا وتدريب جيشها وتقديم الدعم المالي لها، وفي العام 2022م بدأت الأزمة الروسية تأخذ مساراً أخراً حيث أعلن الرئيس الروسي في العشرين من فبراير 2022م عن ضم أو إعلان استقلال إقليميين أوكرانيين هما (لوغاسنيك ودوتنسيك) وبعدها بأربعة أيام قام بغزو شامل للأراضي الأوكرانية والتي سميت فيما بعد بالعملية الخاصة في أوكرانيا، ومن هنا بدأ صراع عالمي بين روسيا والغرب عن الأراضي الأوكرانية، مما يدل على بوادر ظهور قضية أزمة جديدة في العالم.

مشكلة البحث:

في سياق تداخل قوى دولية في الأزمة الأوكرانية يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الإشكالي التالي: إلى أي مدى يمكن ان تؤثر الحرب الأوكرانية على بنية النظام الدولي

خاصة من حيث أنماط التفاعلات الدولية بعد الحرب، وتوازنات النظام الدولي القائم ومساراته المستقبلية واحتمالات إعادة تشكيل دوائر ومناطق نفوذ القوى الدولية وعودة ميلاد عالم متعدد الأقطاب؟

هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحليل مفهوم الأزمة الدولية في نقل العلاقات الدولية، ومعرفة التغيير في الساحة الدولية من خلال الحرب الروسية في أوكرانيا وتداعياتها في هيكلة النظام الدولي من جديد من القطبية الأحادية إلى الثنائية أو عالم متعدد الأقطاب، بالإضافة إلى التعرف على ماهية الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الأزمة وإلى ماذا ستؤدي وتأثيرها على الساحة الدولية.

منهج البحث:

استند البحث على المنهج الوصفي إلى المدخل التاريخي لسرد الأحداث التاريخية في هذا البحث الذي قُسّم إلى مبحثين رئيسين: الأول يتمحور حول التأصيل النظري لمفهوم الحرب ونظرية الأزمة الدولية ويتناول في مطلبه الأول مفهوم الحرب وتعريفها وماهيتها، ويتناول في مطلبه الثاني الأزمة الدولية وماهيتها، بينما يستعرض المطلب الثالث التحولات السياسية في شرق أوروبا عام 1991م، وأخيراً يتناول المطلب الرابع الأزمة الروسية الأوكرانية. أما المبحث الثاني من البحث فيتحدث عن القطبية والعلاقات الدولية والتوازن الدولي ففي مطلبه الأول نتحدث عن ماهية القطبية الدولية وفي الثاني نتناول ماهية العلاقات الدولية بينما الثالث يتناول التحالفات الدولية والتغير في ميزان القوة العالمي.

المبحث الأول: تأصيل مفهوم الحرب ونظرية الأزمة الدولية:

من خلال هذا المبحث نصبو إلى تقديم تعريف دقيق للأزمة الدولية ومعرفة كيف تم إدارة الأزمات لأهميتها في منع تدهور العلاقات بين الدول والمساهمة في فرض الأمن والسلم الدوليين.

المطلب الأول: مفهوم الحرب وتعريفها وماهيتها

تعريف الحرب: هي استخدام العنف المسلح المنظم بين الجماعات الإنسانية وهي أيضاً تُعرّف بأنها الوسيلة الأكثر قسوة للدولة لتحقيق أهدافها، ويقال أنها تستخدم لإنجاز السياسة الوطنية، ويعرفها العالم الألماني (كلاوزفيتز) بأنها الإستمرار بالسياسة ولكن بوسائل أخرى، وهي عملية قديمة قدم الأنسان، ففي المجتمعات القديمة كانت الحرب ظاهرة مألوفة من أجل اشباع الحاجات.

أيمكن أن تعد فكرة الحرب استمراراً للسياسة فكرة مقبولة في الوقت الحالي؟

لا يمكن اطلاقاً القبول بهذه الفكرة في العصر الراهن بسبب تعقد الحروب وصعوبة السيطرة على مجرياتها، فإشعال الحرب عملية سهلة، ولكن السيطرة على نتائجها وحدودها أمر غير ممكن حالياً، بسبب التطورات الحاصلة في الأسلحة والقدرة التدميرية، واتساع حدودها، وعدم وجود طرف ممكن أن يسيطر على غيره بسهولة وقد أثبتت ذلك الحربان العالميتان: الأولى والثانية، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على الحرب بشكل مطلق لتحقيق اهداف السياسة الوطنية للدول، كونها ستأتي بنتائج سلبية.

طبيعة الحرب:

أولاً: الحرب هي معركة مادية: فهي أصبحت شاملة، ولم تعد أثارها محدودة النطاق، ولم يعد هناك استثناء في الاستهداف فليس كل استخدام محدود للقوة يعد حربًا، والحرب بالمعنى المادي قديمة جداً، باتت لا تميز بين هدف دون أخر، بل أصبحت الشعوب كلها اهدافاً في الحروب، وأصبح نطاقها أوسع بكثير، وباتت الدول تجند كافة امكانيتها المادية والتكنولوجية الحديثة، وأصبح هدف الحرب إخضاع العدو نفسياً، واضعافه قبل المواجهة المسلحة.

ثانيًا: الحرب بوصفها وضعاً قانونيًا: إذ تلعب الحروب دوراً رئيساً في التأثير على بعض المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الدول، فقد تلغي معاهدات معينة، وقد تنشأ عنها معاهدات جديدة، وإن قيام الحرب بالمعنى القانوني، يتطلب اعلان الحرب من قبل الدول المتحاربة، وغالباً لا تعلن الدول بأنها في حالة حرب، أو إنها بدأت الحرب على دولة أخرى،

خوفاً من التبعات السياسية والقانونية، فاستخدام القوة في العلاقات الدولية أمر محظور وفقاً لقواعد القانون الدولي، وبالتالي فإن الحرب ليست مواجهة مادية فقط، إنما هي علاقة قانونية بين أطرافها. هذا وقد تندلع الحروب لأسباب اقتصادية أو سياسية أو نفسية واجتماعية أو دينية وإيديولوجية.

المطلب الثاني: الأزمة الدولية وماهيتها

أولاً: التعريف اللغوي: أن الأزمة لها جذور تاريخية قديم، حيث استخدمت في الطب الأفريقي القديم وكانت تشير إلى وجود نقطة تحول في مرض معين، يترتب على هذه النقطة حول شفاء المريض أو موته (شعلان، 2022، ص23). كما تشير بعض الاسهامات العلمية إلى أن كلمة الأزمة، بأنها تعود إلى اليونانيين من كلمة Krin التي تعني وسائل إدارة موضوع يتعلق بالقرار الحاسم أو المهم كما يتم استخدام كلمة (أزمة) عند علماء الطب النفسي للدلالة على الانعكاسات النفسية الحادة على الفرد وسلوكه للإشارة أيضاً إلى أزمة الهوية (أبوفارة، 2009، ص21).

وورد عن كورال بيل بأنها "المجال الزمني الذي تظهر فيه نزاعات إلى الحد الذي تهدد فيه بتغيير طبيعة العلاقات القائمة". أما جارلس هيرمان أحد رواد مدرسة صنع القرار فيرى أن الأزمة الدولية تنطوي على عناصر معينة تكون مدركة من قبل صناع القرار وهي (نقلاً عن الربيعي وآخرون، 2011، ص4):

- أعمال متوقعة من قبل الخصم.
- إدراك أو تصور وجود تهديد.
- إدراك التوقف الممدد لصنع القرار والرد عليه.
- إدراك العواقب المحصلة لعدم الرد.

الأزمة إصطلاحاً: هي حالة من التهديد والخطر متوقعة أو غير متوقعة، والتي تشمل عن كل جوانب الحياة من قيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد والمنظمات والدول، وتعني تلك اللحظة

الحرجة ونقطة التحول التي تتعلق بالمصير الإداري للمنظمة والذي يهدد بقائها (صالحي، 2022، ص254). أو هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتمحور عندها مصير تطورها إما إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، الحرب أو السلم لإيجاد حل لمشكلة ما أو انفجارها (العامري، 1993، ص57).

وبوصف الأزمة مصطلحاً سياسيًّا فقد اهتم بعض الباحثين السياسيين في العلاقات الدولية بتعريفها ومنهم:

جيمس روبنسون الذي عرفها على أنها موقف بين دولتين أو أكثر يتم إدراكه من قبل صانع القرار ويشمل هذا الموقف (الأعظمي، بلا سنة، ص37):

- تهديد للأهداف والمصالح.
- شعور أو إدراك المحدودية الوقت اللازم لاتخاذ القرار.
- تهديد مفاجئ لصناع القرار.

كما عرفها سنايدر، باعتبارها سعي أطراف أزمة ما، إما لممارسة الضغط بشكل مرن وحكيم وفق مقتضيات الموقف، أو سعيهم إلى التعايش والتوافق دون أن تتحمل دولهم تكلفة الخسائر المرتفعة (عبد المهدي، 2002، ص315).

تتميز أوكرانيا بموقع استراتيجي يمتاز بوفرة الموارد الطبيعية وكذلك تعد الجدار العازل بين روسيا والدول الغربية، فهي ذات أهمية للطرفين الأمر الذي جعل أوكرانيا تحظى بالعديد من الأزمات أشهرها الغزو الروسي لأرضيها في العام 2022 وهذا ما سيتم تناوله في هذا البحث.

المطلب الثالث: التحولات السياسية في شرق اوروبا بعد 1991م

تعد المواجهة الروسية –الغربية بعد الغزو الروسي لأوكرانيا مجرد فصل من فصول مواجهة ممتدة، وكانت بدايات هذا الفصل مع انهيار الاتحاد السوفيتي 1991م، وتحولت معظم الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي أو تلك التي كانت تنتمي إلى الكتلة الشرقية

خلال الحرب الباردة إلى المعسكر الغربي، سواء بالانضمام إلى حلف الناتو، أو الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وكان عام 2004م لحظة فارقة في تاريخ الاتحاد، حيث انضمت 14 دولة من الجمهوريات السوفيتية ودول أوربا الشرقية إلى حلف الناتو.

وفي المقابل ومع وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة، عام 1999م، ثم فوزه بانتخابات 2000 و2004م سعى إلى فرض هيمنته الكاملة على مقدرات الدولة السوفيتية، السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية، واتجه للحفاظ على ما أسماه حدود "الاتحاد الروسي" ولو بالقوة إذا لزم الأمر وخلال ولايتيه الأولى والثانية انفجرت "الثورات الملونة" في عدد من الجمهوريات السوفيتية السابقة (جورجيا، أوكرانيا، قرغيزستان) وأعقبتها انتخابات أفرزت نخبة سياسية وفكرية جديدة أقرب إلى الفكر الليبرالي الغربي، وهو ما اعتبره بوتين مؤامرة أمريكية للنفاذ إلى مناطق النفوذ الروسي، وتعامل معها بوصفها تهديداً خطيراً ليس للدولة الروسية فقط من الناحية الاستراتيجية، ولكن بنفس القدر له شخصياً ولنظامه، الذي أسس شرعيته عبر قدرته على فرض النظام داخلياً في أوكرانيا عام 2004م، ودخل في حرب ضد جورجيا عام 2008م ودعم انفصال إقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية عن أراضيها.

وترتبط هذه التحولات في الجانب الأكبر منها بـ"عقيدة بوتين" العسكرية، حيث أكد الرئيس الروسي أنه لن يسمح لحلف شمال الأطلسي بالتواجد على حدوده وتهديد موسكو مباشرة، لذلك طلب في الوثيقة "الأمنية" توقيع اتفاقيتين منفصلتين بين موسكو وواشنطن والناتو لوضع نظام ضمانات أمنية من أجل خفض التوترات الأمنية في أوروبا، وتخلي الخلف عن أي نشاط عسكري في جورجيا وأوكرانيا، وعدم انضمامها للحلف، ووقف نشر أنظمة أسلحة هجومية في الدول المحاذية لروسيا، ولكن واشنطن رفضت ذلك فكان قرار اللجوء للعمل العسكري، لأنه يمثل – وفقاً لعقيدته العسكرية- "اللحظة المثالية" للضغط على الناتو والاتحاد الأوروبي لإعادة هيكلة البنية الأمنية الأوروبية بما يتناسب ومكانة روسيا الآن، التي تختلف عنها عام 1991م، ولذلك وبداية من منتصف عام 2021م، بدأت روسيا في حشد

قواتها العسكرية على حدودها الغربية بالتزامن مع حشد عسكري أمريكي – أوروبي في أوكرانيا، حيث قدمت واشنطن لكييف 205 مليار دولار من المساعدات العسكرية منذ 2014م بما في ذلك 450 مليون دولار عام 2021م كما شاركت كييف في مناورات أمريكية على أرضيها واستقبلت الآلاف من الجنود الأميركيين، وهو ما دفع بوتين للمطالبة عدة مرات بضرورة تخفيف الحشد العسكري الأمريكي بأوكرانيا لعدم وجود مبرر له، كما أعلنت كييف عدة مرات رغبتها في الانضمام لحلف الناتو الأمر الذي وصفه بوتين "بالخط الأحمر" الذي لن يسمح بتجاوزه .

المطلب الرابع: الأزمة الروسية الأوكرانية

تعود الجذور الأولى للأزمة الأوكرانية إلى عام 2004م عند قيام الثورة البرتغالية التي أطاحت بالرئيس السابق فكتور بانكوفيش وتولي السلطة فيكتور يوشنشيكو حيث كان بانكوفيش أقرب إلى الروس وقادتها والثاني كان أقرب إلى الغرب واعتبرت هذه الرحلة جديدة من تقارب العلاقات بين أوكرانيا وروسيا وحلف الناتو (المعايطة، 2022، ص49).

في عام 2010م، عاد الرئيس بانكوفيش إلى السلطة بعد فوزه في الانتخابات وهو مقرب من الجانب الروسي كما سبقت الإشارة، الذي بدء بعد انتخابه بوقف علاقات بلاده بالاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي مما عمّق الخلاف داخل أوكرانيا ما بين مؤيد لتوطيد العلاقة مع الاتحاد الأوروبي والانضمام إلى حلف الناتو وجانب آخر يرغب في التقرب من روسيا والانضمام لها ومثل ذلك التوجه الأقاليم الشرقية للبلاد حيث يتحدث أغلب سكانها الروسية ـ وفي العام 2014م اندلعت ثورة جديدة ضد الرئيس المنتخب حيث استخدم الرئيس العنف مخلفا العديد من القتلى حيث انتهت الثورة بهروب الرئيس إلى المناطق الشرقية لأوكرانيا، حيث لم تعترف الأقاليم الشرقية بالإدارة الجديدة، وفي نفس العام أرسل حاكم القرم طلب الانضمام إلى روسيا حيث دخلت القوات الروسية إلى الجزيرة وأعلنت انضمامها رسميًّا لروسيا (المعايطة، 2022، ص49).

وبذلك يمكن إرجاع جذور الحرب أو الأزمة الحالية إلى هذا العامل أو السبب الذي انضمت فيه القرم إلى روسيا ومما سبب ذلك انفصال أجزاء من أقاليم الدونباس الذي يضم مقاطعتي لوغانسك ودونتيسك، حيث ركز الرئيس الروسي بوتن في بعض خطاباته أن أوكرانيا تشكل تهديداً مباشراً لأمن روسيا القومي وعملت السياسة الخارجية الكثير في جميع المنابر الدولية والإقليمية على أحقية روسيا في مواجهة الخطر الاوكراني وحماية أراضيها وتذكيراً العالم باتفاقي مينسك الأول الموقعة في 2014م التي تهدف إلى وقف إطلاق النار بين كييف والانفصالين الموالين لروسيا ومينسك الثانية الموقعة في 2015م والتي نصت على وقف فوري أيضاً لإطلاق النار في مناطق معينة في دونتيسك ولوغانسك في أوكرانيا، كذلك احترام الاتفاقية الموقعة في بودابست التي يتم بموجبها احترام الروس لحدود أوكرانيا مقابل تسليم أوكرانيا لأسلحتها النووية الموروثة من الاتحاد الأوروبي الامر الذي تراه موسكو خط احمر وتهديد لأمنها الإقليمي الدولي، ففي الرابع والعشرون من فبراير 2022م غزت روسيا أوكرانيا وتزامن مع ذلك خطاب أصدره الرئيس الروسي فلاديمير بوتن يتضمن مبررات الغزو لأوكرانيا، ويعلن فيه استخدام القوة العسكرية في الأراضي الأوكرانية تحت مسمى "عملية عسكرية خاصة" ومنع استمرار أوكرانيا في تحالفاتها مع المؤسسات الغربية مثل حلف الناتو والاتحاد الأوروبي واصلت روسيا حربها ضد أوكرانيا مدعية أنه ليس احتلالا لأوكرانيا، ولكنها لحماية امنها القومي الوطني في المقام الأول وحماية السكان الناطقين بالروسية في شرق أوكرانيا، الذين يتعرضون لإبادة لغوية فيها بالإضافة إلى نزع السلاح وأنهاء النازية الجديدة في أوكرانيا (الإكيابي، 2023، ص10).

لقد أعادت الحرب الروسية الأوكرانية الجانبين الروسي والأوكراني المدعوم من الغرب، العالم إلى أجواء الحرب الباردة بين القطبيين والولايات المتحدة والاتحاد والسوفيتي سابقاً التي سادت أعقاب الحرب الباردة كما اثرت ضرورة إعادة النظر في إعادة حسابات الغرب تجاه

روسيا ومصالحها في الأمن الأوروبي لأنها ترتبط بشكل كبير بمصالح أوروبا واستقرارها (مخيمر، 2023، ص137).

ويتفق كثير من الباحثين، على أن التدخل الروسي في أوكرانيا جاء لتحقيق أهداف جيواستراتيجية تتعلق بالمفهوم الروسي لكونها دولة عظمى ذات مجال حيوي ولا يقبل بإقامة أي احلاف على جميع حدودها والعمل على فرض هيبتها واحترام مصالحها، وهذه الحرب من وجهة نظر كثير من أهل السياسة تعد النهاية الحاسمة للأحادية القطبية المتمثلة في الولايات المتحدة ونهاية السلام المؤقت الذي أعقب الحرب الباردة وتغير العالم إلى الثنائية القطبية بين أوكرانيا والغرب والاتحاد الروسي والصين.

المبحث الثاني: القطبية والعلاقات الدولية والتوازن الدولي

المطلب الأول: ماهية العلاقات الدولية

يثير مفهوم العلاقات الدولية العديد من الإشكاليات النظرية والتحليلية حول تعريف المفهوم، وتدخله مع العديد من المفاهيم الأخرى التي تتشابه معه حيث لا يوجد تعريف متفق عليه، كما أن هناك فجوة تفاصيل بين معنى المصطلح الشائع استخدامه في الغرب (International Relations) وبين الترجمة العربية الشائعة لهذا المصطلح وهي العلاقات الدولية فالعلاقات بين الأمم تختلف في مفهومها ومضمونها عن العلاقات بين الدول (بن جامع وآخرون، 2020، ص37).

إن التعريف بماهية العلاقات الدولية ليس بالأمر السهل كما يتوقع بعض الناس إنما هي غاية في التعقيد والصعوبة على الرغم من الجهود المبذولة منذ انبثاق نظام الدول القومية الحديث بعد مؤتمر وستفاليا 1648 إلى اليوم حيث يصعب على الدارسين والباحثين إعطاء مفهوم شامل للعلاقات الدولية (العقابي، 2010، ص27).

ومن أجل معرفة موضوع العلاقات الدولية لابد من القيام بمراجعة تاريخ مواقف العلماء والباحثين الذين كتبوا بهذا الصدد منذ خمسين سنة.

إن العلاقات السياسية الدولية كما يقول جيمس هي التي تتناول علاقات الدول والشعوب فيما بينها، يعد هذا التعريف بسيط وشامل ولا يخضع لمنهجية علمية وظهرت تعريفات جديدة تصدت لهذا الموضوع من 1470 – 1950 لكل من هاسن مورجانتو – كينت تومنس – سشاني هومان – ماكيلاند – كايلس – فرانكل وغيرهم وخلال ذلك توضح بعض التعريفات لمفهوم العلاقات أم مورجانتو يرى أن "جوهر العلاقات الدولية هو السياسة الدولية" وان موضوع السياسة الدولية هو الصراع بين الدول المستقلة من أجل القوة.

أما ستانلي هوكمان فيقول "إن حقل المعرفة للعلاقات الدولية يعني العوامل والنشاطات المؤثرة في السياسات الخارجية وفي قوة الوحدات الأساسية المكون لعالمنا". وفي إطار هذا الجدل القائم يمكن التمييز بين ستة تيارات أساسية في تعريف العلاقات الدولية هي (عبد الشافي، 2022، ص4):

- الأول: يرى أن العلاقات الدولية هي "العلاقات بين الدول".
- الثاني: يرى ان العلاقات الدولية هي "العلاقات بين الأمم".
- الثالث: يرى أن العلاقات الدولية هي "العلاقات بين مجموعة ذات قوة".
- الرابع: يرى أن العلاقات الدولية هي "علاقات عبر قومية".
- الخامس: يرى أن العلاقات الدولية هي العلاقات بين كل الجماعات التي تهم المجتمع الدولي ولكن مع التركيز على العلاقات بين الجماعات ذات الوزن الحقيقي.
- السادس: يرى العلاقات الدولية على أنها "العلاقات بين المجموعات الأساسية التي ينقسم إليها العالم وبصفة خاصة تلك القادرة على التحرك المستقل".

وفي إطار هذه التيارات يمكن القول إن تعريف العلاقات الدولية يدور حول محورين أساسين هما: أنماط العلاقات ونطاقها وطبيعتها والوحدات الأساسية التي تقع بينهما هذه العلاقات.

وتعود أصول العلاقات الدولية كنسق تفاعلي اجتماعي وسياسي إلى عصور قديمة مع بروز أولى الخلايا الاجتماعية، كسبيل لتأمين محيطها وضمان بقائها وتلبية حاجيتها المختلفة، فقد أقامت حضارات ما بين النهرين والحضارة الفرعونية والإغريقية والرومانية والإسلامية، علاقات مع محيطها الخارجي في مجالات مختلفة سواءً تعلق الأمر بفترات الحرب باعتمادها قاعدة الإعلان عن الحرب وعدم استهداف بعض الأماكن الرئيسية أو سلك أو نسيج علاقات تجارية او تبادل وفود، واعتماد الية التحكيم في تسوية الصراعات والمنازعات (الحسناوي، 2022، ص6).

وبإيجاز يمكن تقديم بعض التعريفات للعلاقات الدولية وفقاً لبعض السياسيين على النحو التالي (الحسناوي، 2022، ص6):

- نيكولاس سبيكمان: أن علم العلاقات الدولية هو العلاقات بين الأفراد الذين ينتمون إلى دول مختلفة.
- جان بانسيت دبروزيل: هو تلك العلاقات المتكون عن طريق العلاقات السياسية لدولة مع دولة أخرى.
- تشارلز مايكلاند: بأنها دراسة تفاعلات بين أنواع معينة من الكيانات الاجتماعية بما في ذلك دراسة الظروف المحيطة بالتفاعلات.
- فريدرك هارتمان: يوضحها بأنها كل الاتصالات بين الدول وبين حركات الشعوب من السلع والأفكار عبر الحدود الوطنية.
- محمد طه بدوي: قدم تعريفاً علمياً للعلاقات الدولية يقول إنها العلم الذي يعنى بواقع العلاقات الدولية واستقرارها بالملاحظة والتقريب أو المقارنة من أجل التفسير والتوقع.

وبإيجاز شديد فإن العلاقات الدولية تتلخص حسب السوسيولوجي الفرنسي ارون في جدلية الحرب والسلم (الجندي السياسي الدبلوماسي) بمعنى أن هذه العلاقات لا تخرج عن

كونها المجال المفضل لخوض الحروب وتدبير الأزمات والنزاعات الدولية والإقليمية من جهة أولى أو تعزيز سبل التعاون والتضامن والسلم من جهة ثانية (الحسناوي، 2022، ص5).

المطلب الثاني: القطبية والاحلاف الدولية والتغيير في ميزان القوى العالمي

يعتبر موضوع التحالفات الدولي ظاهرة قديمة تقتضيها طبيعة الأوضاع الدولية القائمة على تعدد السياسات والقوى، كما يمثل دعما قويا وحقيقيا للدول أو المؤسسات المتحالفة للاستمرار في التوسع مستقبلاً ومواجهة الازمات والمخاطر.

أولاً: مفهوم التوازن القوى

يرى أصحاب المدرسة الواقعية في السياسية الدولية، أن توازن القوى ظاهرة طبيعية في تاريخ الدول، والسياسة الدولية ماهي إلا صراع من أجل القوة، حيث ترى أن التوازن في القوة بأنه توزيع للقوى السياسية في العلاقات الدولية. ففي الفكر الغربي، عرّف سيدني فاي توازن القوى بأنه يعني التوازن الحق بين دول أعضاء العائلة الدولية القادرة على منع أي منها من أن تصبح قوية بما فيه الكفاية لتفرض آراءها على الآخرين، أما مورجانتو في كتابه (السياسة بين الأمم) أنه يمكن استخدام مفهوم التوازن القوى للتعبير عن السياسية التي تهدف لإحداث توزيع معين للسلطة أو توصف للحالة الواقعية للتوزيع المتساوي للقوى السياسية في العلاقات الدولية.

أما توازن القوى في الفكر العربي، فقد عرفته موسوعة السياسة بأنه نظام العلاقات الدولية المبني أساساً على فرضية أن حفظ السلام الدولي يشترط عدم رجحان كفة دولة أو تحلف دولي على كفة الدول أو التحالفات الأخرى المقابلة. كما عرّفها إسماعيل صبري بأنها حالة تنشأ نتيجة التصرف الضخم لدولة واحدة في نسق دولي أو إقليمي الأمر الذي يهدد حرية الأطراف الأخرى مما يجعلها تتجمع في محور مضاد (عبد النبي، 2023، ص118-119).

وتعد أكثر التعريفات تحديداً لمفهوم الحلف، ذلك الذي قدمه ديفيد إدواردز حيث أوضح أن تعبير الحلف يستعمل للدلالة على الالتزام التعاقدي من النوع السياسي أو العسكري

المتبادل بين عدد من الدول ضد دولة محددة، ولو لم تكن مسماة، مثل هذه الاحلاف تنشئ منظمات للعمل على تنفيذ أهداف الالتزام وهي عادة تتسم بالطابع الرسمي بتوقيع معاهدة او اتفاقية. وقد ارتبط هذا التعريف بصفة أساسية بخبرة احلاف القرن العشرين وبالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية، لاسيما حلف الناتو وحلف وارسو (حسين وآخرون، 2022، ص127).

ثانياً: في مفهوم نظام احادي القطبية

يشير نظام احادي القطبية على حد تعبير هانس إلى ذلك النظام الذي تتمركز القوة فيه عند قوة عظمى واحدة فقط في العالم، وهذه القوة التي تتميز عن باقي القوى الأخرى في كونها تتفوق عليها من حيث مجموعة من العوامل، حددها والتز بالعامل الجغرافي والسكان والاقتصاد والجيش والموارد والاستقرار السياسي والكفاءة السياسية. كما يرى ستيفن بروكس ووليام وولفورث أن النظام الدولي يكون أحادي القطبية إذا اشتمل على قوة تضعها إمكاناتها من القدرات في فئة قائمة بذاتها، مقارنة بالدول الأخرى، كما يركز نونو مونتيرو على خصائص معينة لنظام أحادي القطبية، مثل كونه نظاماً قائما بين الدول، وأنه نظام فوضوي يعتمد على قوة عظمى واحدة (موقع DW، 2022). من هذا المنطلق، يمكن القول إن الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفياتي مثل انهياراً لنظام دولي دام لأكثر من أربعة عقود، لفتح المجال للولايات المتحدة الأمريكية كقوى عظمى لا منافس لها في النظام العالمي، وبذلك أصبحت تمثل القوة المركزية المهيمنة على نظام الأحادية القطبية، والقادرة في نفس الوقت على فرض قيمها وسياساتها على الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري والدبلوماسي وحتى الثقافي (عبدالحليم، 2022) وكما عمل الزواج الجيوسياسي الذي أقامته الولايات المتحدة الأمريكية مع الغرب الأطلسي القائم على أوربا من ترشيحها للاضطلاع بمسؤولية حقبة جديدة من الهيمنة عالمياً (الباز، 2022).

في هذا الإطار عملت الولايات المتحدة الأمريكية على إبقاء حلف الأطلسي (الناتو) مفعلاً، باعتباره يمثل أداة الغرب في التسلخ و الأمن، وكذا مدخلاً من مداخل الهيمنة الأمريكية، وخاصة مع فشل الاتحاد الأوروبي ممثلاً في منظمة الأمن والتعاون الأوربي في إنشاء بنية قوية للأمن والدفاع الأوربي المشترك بعيدة عن حلف الناتو (مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2022). ويعتبر بريجنسكي أن هذا الإطار هو استمرارية لما كان مطبقاً فترة الحرب الباردة فالقوة الأطلسية المعتمدة على التفوق الاقتصادي والمالي والعسكري الأمريكي استطاعت أن تضفي صفة المؤسسية على موقعها المهيمن في الشؤون العالمية، من خلال شبكة ناشئة من المنظمات الدولية التعاونية كصندوق النقد الدولي والبنك العالمي والأمم المتحدة (كونولي، 2022).

ثالثاً: أنماط الاحلاف الدولية

توجد مجموعة من الأنماط للأحلاف الدولية، منها (حسين وآخرون، 2022، ص132):

- الأحلاف الرسمية: وهي تنشأ بمعاهدات رسمية مكتوبة وملزمة للأطراف الموقعة عليها.
- الأحلاف الدفاعية: هي تلك الأحلاف التي تنشأ بدافع تهديد لأمن الدول الأعضاء المنطوية تحت الاتفاقية.
- الأحلاف الهجومية: وهي تلك الاحلاف التي تهدف إلى تغيير الوضع الدولي بالقوة.
- الأحلاف ذات البنيان المتعدد: وهي تلك الاحلاف التي لا تسيطر فيها دولة واحدة على عملية اتخاذ القرار دخل الحلف.
- الأحلاف ذات البنيان الهرمي: هي تلك الاحلاف التي تتميز بوجود دولة واحدة تسيطر على عملية اتخاذ القرار داخل الحلف.

هذا ويعد التغيير في ميزان القوى العالمي وبما أن الأمن الدولي في تغيير مستمر فالتهديدات التي تميزت بها القرون الوسطى في أوروبا تختلف اختلافات جذريًّا من التهديدات التي شهدتها

أوروبا خلال القرن العشرين لا سيما خلال الحرب العالمية الأولى، وكذلك تختلف عن تهديدات الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة أخذت منحنى أخر، أمام حقيقة ما بعد الحرب الباردة فقد شهدت انهيار التحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة بالتحكم في النظام الدولي التهديد الذي برز خلاله حقيقة ما بعد الحرب الباردة هو تنامي التيارات الإسلامية الاصولية المتطرفة لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من ايلول سبتمبر عام 2001م أصبحت التيارات الاصولية المتشددة العدو الأول للولايات المتحدة (فاضل وطارق، 2016، ص63-64).

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م والتي من خلالها قادت الولايات المتحدة الأمريكية حربيين في افغانستان و العراق أدت إلى ارهاقها في استنزاف كثير من ثرواتها وكثير من الضحايا في جنودها لغرض فرض ديمقراطيتها المنشودة في دول امكانيتها ضعيفة لتقبل هذه الديمقراطية.

لقد كان العالم يعيش توازن للقوى من العام 1945م إلى غاية انهيار الاتحاد السوفيتي 1990م ومن هذا العام إلى أن تغيرت الأوضاع السياسية والاقتصادية في روسيا ومجيء الاوليجاركية إلى السلطة واستطاع بوتن بناء روسيا العظمى الذي راوده فيها العودة إلى اعادة صيغة العالم من جديد والعودة ببلاده إلى مصاف الواجهة الدولية وإعادة أمجادها كقوى عظمى تنافس الولايات المتحدة وحلفاؤها.

أن الحرب الروسية الأوكرانية تعطي دلالات ومؤشراً على نهاية القطبية الأحادية والنهاية الرسمية لشبه السلام المؤقت الذي أعقب الحرب الباردة وإعادة توازن القوى العالمي من جديد.

أن روسيا تتطلع إلى تحقيق مخرجات عمليتها العسكرية الراهنة مع الغرب في أوكرانيا بما يتناسب وأهدافها الاستراتيجية عبر محاولة استعادة التوازن الدولي، وهدفها الرسمي أن يكون هنالك عالم متعدد الأقطاب وتكون هي أحد أعمدته، بعد إدراكها أن العالم لا يمكن أن تقوده

أو أن تهيمن عليه قوة واحدة، عملت على كسب ثقة كثير من الدول التي على عداء مع الولايات المتحدة الامريكية (الصين – كوريا الشمالية – إيران) ومحاولة اقامة تحالفات استراتيجية معها (محمد وفاضل ، 2022).

إن التدخل الروسي في أوكرانيا قد يعد علامة واضحة تشير إلى النهاية الرسمية لعصر الأحادية القطبية، حيث تنافس دول عظمى في حرب كبرى حقيقية ما يعيدنا إلى النسق الأول للحروب التقليدية، والحروب بالوكالة التي كانت خلال الحرب الباردة.

أن انتصار روسيا في هذه الحرب سيكون مكلفاً حيث ستكون روسيا أكثر أمانا في عالم متعدد الاقطاب او ثنائي القطبية ويكون بالشراكة بين الصين وروسيا والولايات المتحدة وحلفاؤها.

تتسم عمليات التفاعل في النظام الدولي الراهن ومساراتها بالثراء والتعقد، بحيث كل عنصر يمكن أن يؤثر في الآخر ويتأثر ببقية عناصر النظام الأخرى، ويتشكل كذلك من عديد من الأنظمة الفرعية المعقدة والمفتوحة، متفاعلة مع البيئة التي تعمل فيها إلى الحد الذي يصعب رسم حدودها الفاصلة مع النظام وتفاعلات هذا النظام هي تفاعلات لا خطية، فالأسباب الصغيرة يمكن أن تكون لها نتائج كبيرة، وهو شرط مسبق لحالة التعقد، وتنتج اللا خطية عن التأثر والاعتماد المتبادل بين مختلف عناصر النظام، وعن التفاعل المستمر للنظام مع بيئته الخارجية بوصفه نظاما مفتوحًا، وهذه الصفة تجعل من النظام العالمي شبكة عالية من التعقد يكون فيها كل شيء مرتبطاً بكل شيء، ويستجيب النظام الدولي الراهن لخاصية التشعب التي تشير إلى لحظات تطور النظام التي يمكن أن يأخذ فيها أكثر من اتجاه واحد، ويكون من غير الممكن التنبؤ بأي من تلك الاتجاهات سيأخذها فعلاً، ونقاط التشعب يمكن أن تؤدي إلى تغير داخل النظام أو تغيير النظام نفسه .وقد كشفت الحرب الروسية الأوكرانية مدى التعقيد والترابط الذي أصبح سمة بارزة للنظام العالمي، فحسب نظرية أثر الفراشة فإن

الأحداث الصغرى تؤثر في مسارات الأحداث الكبرى، وأن ما يعتقد أنه صغير وهامشي قد يؤثر بدرجة كبيرة جدا في الأحداث الكبرى و الهامة.

والولايات المتحدة الأمريكية برغم سطوتها على النظام الدولي، فشلت في محاولة خلق جبهة موحدة ضد روسيا عالمياً، وإنما انحصر تأييد هذه الجبهة ضمن المنظومة الغربية الأطلسية وبعض الحلفاء التابعين لها، بينما نجد هناك تصاعد لموجة الرفض العالمي لسيطرة القوى الغربية خاصة من الدول الصاعدة كدول البريكس وبعض القوى الإقليمية في إفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، وهذا ما يعكس رغبة العالم للخروج من الأحادية القطبية والنمطية الغربية ومحاولة تأسيس لنظام عالمي متعدد الأقطاب وخلق توازن قوى جديد بما يخدم مصالح كل الدول والشعوب وليس مصالح الغرب .

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة تبين أن الأزمة الدولية ما هي إلا عبارة عن ظاهرة دولية نتيجة تغير في التفاعلات الدولية القائمة بين الدول، حيث عملت على عدم استقرار العلاقات القائمة بينهما، وقد بيّنت الأزمة الروسية – الأوكرانية مدى ذلك والتغيير الذي أحدثه في مسار العلاقات الدولية، حيث إنها أعادت نمط الحروب التقليدية للعالم، بالإضافة إلى التسارع في الاحداث والتفاعلات الدولية.

أن ما حدث في أوكرانيا ومحاولة انضمامها إلى الحلف الغربي هو الأمر الذي جعل الإدارة الروسية تغزو أوكرانيا للحفاظ على أمنها القومي حيث أنها تعد الجدار العازل لها مع حلف الناتو بالإضافة إلى بيلاروسيا.

إن الحرب الاوكرانية بدت علامة واضحة تشير إلى النهاية الرسمية لعصور الاحادية القطبية، التي سادت منذ نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي 1991م حيث قادت الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها العالم وأصبحت القوة الوحيدة في العالم منذ ذلك التاريخ.

أن عودة عالم متعدد الاقطاب بات واضحا للصعود القوي للصين اقتصاديًّا وعسكريًّا متفوقاً على الولايات المتحدة أيضاً روسيا وأوكرانيا يعدان من الدول الكبرى المصدرة للقمح في العالم حيث توقف تصدير القمح واخذ في التباطئ بعد السيطرة الروسية على منافذ العبور مما ادى إلى ارتفاع اسعاره أيضاً مصادر الغاز كل هذه الأمور غيّرت من الموازين والمعادلات السياسية وأدخلت العالم في أحلاف جديدة؛ الأمر الذي جعل العالم يتجه إلى التعددية القطبية وإنهاء عالم احادي القطبية.

النتائج:

خلص البحث إلى أنه مهما كانت نتيجة الحرب فإن العالم متجه إلى التعددية، وانتهاء الهيمنة الامريكية وحلفاؤها بعد صعود القوى الإقليمية، مثل: إيران وكوريا، وأيضاً الصعود القوي للصين من الجوانب الاقتصادية والعسكرية الأمر الذي ينبأ بمستقبل جديد في الساحة الدولية. بالإضافة إلى إعادة الغرب التفكير في القوة الروسية وتجنب الخوض في حرب مباشرة معها الأمر الذي يهدد الأمن الأوروبي.

المراجع:

أبو فارة، يوسف أحمد. (2009). إدارة الأزمات: مدخل متكامل، الطبعة الأولى، (دارإسراء للنشر والتوزيع، عمان).

الأعظمي، وليد محمد سيد، (بلا سنة)، الأزمة الدولية، مجلة العلوم السياسية، العدد (3).

الإكيابي، سلوى يوسف، (2023)، أثر الحرب الروسية الأوكرانية على تفسير وتطوير قواعد القانون الدولي، المجلة الدولية للفقه والقضاء والتشريع، المجلد (4) العدد (1): 228-293.

الباز، ماهيناز، (2022)، آليات أوكرانيا لإدارة اقتصادالحرب مع روسيا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، متاح عبر: https//bit.ly/37ocwkt.

بن جامع، صبرينة وبن عريوة، أمال وبن الأخضر، محمد، (2020)، العلاقات الدولية بين التنظير والواقع: نظرة تحليلية، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، المجلد (3)، العدد (2): 370-384.

الحسناوي، لحسن، (2022)، محاضرات مادة مدخل في العلاقات الدولية، جامعة القاضي عياض.

حسين، محمد أبو بكر أحمد ومقلد، إسماعيل صبري وبدوي، منير محمود بدوي، (2022)، الأحلاف في العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية، المجلة العلمية لكلية التجارة بجامعة أسيوط، المجلد (42)، العدد (76): 121-161.

الربيعي، غيث سفاج متعب وطاهر، قحطان حسين. (2011)، ماهية الأزمة الدولية: دراسة في الإطار النظري، مجلة علوم السياسة، جامعة بغداد، العدد (42): 139-165.

صالحي، سهاد، (2022)، المعالجة الاعلامية لدور الاتصال الدبلوماسي الجزائري في حل الأزمة الليبية: دراسة وصفية تحليلية لعينة من يومية الشعب – الأزمة الليبية نموذجاً 2015-2021، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والاستثنائية، المجلد 10: 251-266.

شعلان، فهد. (2022). إدارة الأزمات – المراحل – الآليات، الطبعة الأولى، (الدار الوطنية للنشر والتوزيع، السعودية).

العامري، عباس رشيد، (1993)، إدارة الأزمات في عالم متغير، الطبعة الأولى، (مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة).

عبد الحليم، إيمان أحمد، (2022)، هل تتحول الحرب الأوكرانية إلى كارثة استراتيجية لموسكو، متاح عبر: https//bit.l y/3kifdxp.

عبد المهدي، ماجد، (2002)، إدارة الأزمات، المدخل المفاهيم – العمليات، الطبعة الأولى، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان).

عبد النبي، أحمد يوسف محمد، (2023)، مفهوم توازن القوى في العلاقات الدولية، أكاديمية ناصر العسكرية للدراسات العليا، العدد (1)، السنة الأولى: 118-119.

العقابي، علي عودة، (2010)، العلاقات الدولية: دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، (دار الرواد، بغداد).

فاضل، شيماء عادل وطارق، علي، (2016)، أثر التحالفات الدولية في استقرار الأمن الدولي، مجلة حمورابي للدراسات، العدد (29)، السنة الرابعة: 63-64.

كونولي، كيفين، (2022)، غزو روسيا لأوكرانيا:كيف كشف هشاشة السلام في أوروبا، بي بي سي، متاح عبر: https//bbc.in/30fBkqv .

محمد، ساجدة شرقي وفاضل، فاطمة حسين، (2022)، الصراع الروسي الغربي في اوكرانيا عام 2022 وانعكاساته على توازن القوى، العدد (67): 93-122.

مخيمر، أسامة فاروق، (2023)، في مفهوم قضايا الأمن بعد الحرب الباردة، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، المجلد (18)، العدد (17): 137.

مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، (2022)، تداعيات الأزمة الأوكرانية على الاقتصادات الأوروبية في الأمد القصير، متاح عبر: https//bit.ly/3twoH2d.

المعايطة، وعد، (2022)، تداعيات الأزمة الروسية الاوكرانية على القارة الأفريقية، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد (16): 41.

موقع DW، (2022)، حلف الناتو.. لماذا تم تأسيسه وكيف توسع في شرق أوروبا؟ متاح عبر: https//p.dw.com/p/46kvk.